"أصوات التفشّي في اللغة العربيّة"

إعداد

د. طارق إبراهيم محمود الزيادات

قسم اللغة العربية، جامعة الإسراء، الأردن.

د.ماجد محمد عيد البحرات

مركز اللغات، الجامعة الأردنية، الأردن.

الملخص باللغة العربية:

يهدف البحث إلى تمييز الصوت المتفشي من غيره، وذلك بتحديد الصفات المميزة له، و يقتضي ذلك معرفة مخرج الصوت وتتبع حركة الهواء أثناء خروجه من التجويف الحلقي إلى التجويف الفموي، ومن ثم تطبيق هذه الصفات على تلك الأصوات التي وصفها العلماء بالتفشي، وقد اقتصر البحث على ستة أصوات وصفها بعض العلماء بالتفشي، واختار المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى هدفه.

وقد توصل البحث إلى نتيجة مفادها أن الأصوات المتفشية، هي: الشين، فالضاد القديمة، فالفاء، فالثاء. والأصوات غير المتفشية، هي: الراء؛ لأن التفشي فيها عارض، وليس أصيلا، والضاد الحديثة.

الكلمات المفتاحية: التفشي، الانتشار، مخرج، الهواء، انبساط اللسان.

Abstract

"Outspread Sounds In Arabic Language"

Dr. Tareq Ibraheem AL-Zyadat/ Arabic Language Department/ Al-Isra University
Dr. Majed Mohammed Abed Al-Bahrat, Language Center, The University Of Jordan

Abstract :

This paper aims at recognizing the outspread sound from other sounds in Arabic language through the determination of its unique traits. This requires verifying the place of the sound articulation and tracking its airflow while being articulated from the vocal cavity to the mouth, then applying these sounds on sounds described by scholars as "outspreads". This paper is limited to six sounds described by scholar as "outspreads". Seeking this target, The paper followed the descriptive analytical approach.

The result of this paper proved that outspread sounds in Arabic language are respectively: sh, old Daad, ph, thu, whereas the none outspread sounds are: R, since the outspread in this sound is incidental not original, and the new Daad.

Key words: outspread , air outlet, lingual diastole.

المقدمة:

مما لا شك فيه أن النظام الصوتي في العربية يتمتع بكفاية عالية، يجعلها متميزة عن غيرها من اللغات، ولا يقتصر في بنائه على الأصوات، بل يرتبط مع غيره من الأنظمة ليكون كل صوت فيه، بما يحمله من صفات معينة، وحدة متكاملة هدفها خدمة النص وإبراز ما فيه من جماليات.

ومن الأمور التي تميز هذا النظام، صفات أصواته التي يقوم عليها، وهي صفات تزيد من قدرة الصوت الواحد على أداء تلوينات متعددة في السياق الصوتي الواحد، بما يتلاءم مع المحتوى الدلالي للجمل والكلمات. والمطلع على صفات أصوات العربية يجد أنها متميزة عن صفات الأصوات في اللغات الأخرى، كالاستطالة في الضاد، بدليل أنهم قالوا عن العربية بأنها لغة الضاد، وذلك متأت من صعوبة أداء صفة الاستطالة في أي حرف آخر ليس عربيا، أي أن الاستطالة لا توجد إلا في العربية.

وباعتبار أن اللغة كائن حي في سيرورة تطوره ونموه، فإن صفات أصواتها تتطور أيضا وتتخذ مع تغير الأزمان هيئات متعددة للأداء النطقي؛ الأمر الذي أدى إلى اختلاف العلماء في الصوت الواحد من حيث مخرجه وصفاته، وحتى هيئة أعضاء النطق عند أدائه.

ومن الصفات التي اختلف العلماء في الأصوات التي تتصف بها، صفة التفشي؛ فقد جعلها بعضهم لصوت الشين، وأخرون أضافوا إليها أصواتا أخرى، كالفاء، والتاء، والضاد، والراء.

ومن هنا انطلقت فكرة البحث، الذي سيحاول أن يكشف اللثام عن الأصوات التي توصف بأنها متفشية، مع محاولة لبيان هيئة حدوث التفشي. ولتحقق غاية البحث فقد اقتضى موضوعه أن يكون في مبحثين اثنين:

الأول: معنى التفشي لغة واصطلاحا.

الثاني: الأصوات المتفشية.

وقد سار البحث على خطا المنهج الوصفي التحليلي، ليجيب عن تساؤل: ما الأصوات المتفشية في العربية؟

المبحث الأول: معنى التفشي:

لغة: جاءت كل المعاني في المعاجم العربية لكلمة (تفشي) دالة على الانتشار والذيوع والاتساع، والكثرة، قال ابن منظور:" فَشا خَبَرُه يَفْشُو فُشُوًّا وفُشِيًّا: انتشر و ذاعَ...وتَفَشَّى الشيء أي اتسع...أَفشَى الرجل وأَمْشى وأَوْشى إذا كثر ماله"[١].

أما في الاصطلاح فلم يذكر القدماء تعريفا محددا للتفشي، ولكن المحدثين أوردوا تعريفات عدة، منها:

١- " التفشي: وهو انتشار النفس في الفم عند النطق بالشين"[٢].

٢- "انتشار الهواء في الفم عند النطق بالحرف، وله حرف واحد، وهو الشين، وذلك بتوسيع ما بين اللسان وأعلى الحنك""[٣].

٣- " كثرة انتشار خروج الهواء بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بالحروف، وحرف التفشي هو الشين فقط على

---

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت، مادة (ف ش ي).

[٢] الصالح، صبحي إبراهيم، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٦٠م، ص ٢٨٣.

[٣] مصطفى، إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، د.ط، د.ت، مادة (ف ش ي).

المشهور، وبعضهم يجعل فيها الضاد والثاء والفاء، وبعضهم يقول إن في الصاد والسين أيضا تفشيا، وذلك غير ما جمع عليه"[١].

٤- " كثرة انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك، وانبساطه في الخروج عند النطق بها (أي الشين)"[٢]

والمدقق في التعريفات السابقة يلاحظ ما يأتي:

١- أن الصفة الأبرز في التفشي هي أن يتنشر الهواء المصاحب للجرس الصوتي، والمكون له بعد خروجه من الرئتين، وتجاوزه الحبال الصوتية.

٢- أن حدوث التفشي يقتضي وجود مساحة متسعة في التجويف الفموي، أي أنه لا يكون إلا بذلك، إذ لو كانت المساحة ضيقة ما حدث تفشٍ.

٣- أن التفشي يقتضي بالضرورة أن يكون الهواء حرا طليقا، في مجراه نحو مخرجه من الفم؛ أي أنه لا يوجد عائق أمامه يوجهه أو يغير مجراه؛ لأن ذلك يقتضي تضييق مساحته التي يجري فيها، والتعريفات السابقة تدل على أن الهواء لا بد أن يمتلك الحرية المطلقة للتحرك والانتشار بلا معوقات، وذلك ما نجده واضحا في صوت الشين.

---

[١] الرافعي، مصطفي صادق، **تاريخ الأدب العربي**، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١/ ٨٣.

[٢] ابن أبي طالب، مكي، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، تحقيق، أحمد حسن فرحات، دار عمار، عَمّان، ط٣، ١٩٩٦م، ص١٣٥

٤- أن التفشي يحتاج إلى كمية كبيرة من الهواء، حتى يملأ المساحة المتسعة في التجويف الفموي، وذلك كله يعتمد على كمية الهواء المتدفقة من الرئتين، والاعتراضات من الأعضاء النطقية أثناء خروجه، أي أن الهواء يحتاج حتى يتفشى إلى الكثرة، وإلى عدم وجود اعتراض من الحبال الصوتية أو منطقة الحلق، حتى يتمكن من الانتشار في التجويف الفموي.

وبهذه الأمور الثلاثة، يمكن أن يقال بأن الصوت متفش، وما لم تنطبق عليه أو كان فيه ضيق في خروج الهواء ما كان متفشيا، بل احتكاكيا، والفرق بين الاحتكاكي والمتفشي، أن الهواء في الاحتكاكي يكون محصورا بأعضاء النطق التي تضيق مجراه وتتحكم به في أثناء خروجه، فتوجهه وتعوق حركته، وتمنعه من حرية الانتشار، أما المتفشي فالأمر مختلف، إذ إن الهواء يتحرك بحرية، ولا يوجد ما يمنعه من الانتشار في التجويف الفموي، فيخرج على الهيئة الأصلية المستقيمة لخروجه من المخرج الطبيعي، وهو الفم.

وبعد معرفة الأحوال التي تعتري الهواء بعد تجازوه الحبال الصوتية، ليقال عنه بأنه متفش، صار من السهل معرفة الصوت المتفشي وتمييزه عن غيره، وفيما يأتي سيحاول البحث تمييز الصوت المتفشي، بعد معرفة هيئة نطقه وحالة الهواء المكون للجرس الصوتي، لكل صوت من الأصوات التي وصها العلماء بالتفشي.

المبحث الثاني: الأصوات المنفشية:

إن المطلع على كتب العلماء العرب قديما وحديثا يجد أنهم غير متفقين على الأصوات التي تتصف بالتفشي، ولكن الصوت المتفق عليه عندهم جميعا هو صوت الشين، ومنهم من أضاف أصواتا أخرى، هي: الراء، والأصوات المطبقة، والثاء، والفاء. وفيما يأتي البيان:

الصوت الأول: صوت الشين:

يعد صوت الشين من الأصوات المميزة في العربية، وعندما تذكر صفة التفشي، فإن أول صوت يتبادر إلى الذهن هو صوت الشين. قال سيبويه :" والشين لاتدغم في الجيم، لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج الطاء، فصارت منزلتها منها نحوا من منزلة الفاء مع الباء ، فاجتمع هذا فيها والتفشي "[١].

مخرج الشين:

قال إبراهيم أنيس:"عند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة ، فلا يحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق، ثم الفم، مع مراعاة أن منطقة الهواء في الفم عند النطق بالشين أضيق منها عند النطق بالسين، فإذا وصل الهواء إلى مخرج الشين، وهو عند التقاء أول اللسان وجزء من وسطه بوسط الحنك الأعلى ، فلا بد أن

[١] سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٩م، ٤٤٨/٤

يترك التقاء العضوين بينهما فراغا ضيقا يسبب نوعا من الصير أقل من صفير السين، وذلك لأن مجرى السين عند مخرجها أضيق من مجرى الشين عند المخرج"[١]

وقال كمال بشر:" يتكون هذا الصوت بأن يلتقي طرف اللسان، أي مقدمه بمؤخرة اللثة ومقدم الحنك الأعلى، بحيث يكون هناك منفذ ضيق لمرور الهواء، ولكن هذا المنفذ أوسع من المنفذ الموجود في حال صوت السين مثلا"[٢] ، وقال محمود السعران:" بأن يرفع ذلق اللسان، وطرفه نحو مؤخرة اللثة، بينما يكون الجزء الساسي من جسم اللسان مرفوعا نحو الحنك الأعلى في نفس الوقت، ويكون الفراغ بين مقدم اللسان ومؤخر اللثة ضيقا، ولكنه أوسع من الفراغ الكائن في نطق السين"[٣]

إن الهواء _عند نطق صوت الشين_ بعد خروجه من الرئتين، ومروره بالأحبال الصوتية التي تكون متهيئة لاستقباله، وذلك بانفراجها بحيث تسمح له بالمرور بحرية، فلا تهتز على الرغم من كميته الكبيرة المتدفقة، يواجهه عائق عندما يرتفع طرف اللسان نحو مؤخر اللثة، بينما يترك له مساحة واسعة للخروج ، أي من منتصف اللثة وما تحتها

---

[١] أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٦٩.

[٢] بشر، كمال، **علم الأصوات**، دار غريب، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٣٠٢

[٣] السعران، محمود، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، د.ت، ص١٧٦.

من الحنك الأسفل، وهي منطقة واسعة تسمح للهواء بالتفشي، وهذه الحالة تشابه صوت السين، إلا أن منطقة التضيق فيه تكون في الأمام، على عكس الشين التي تكون منطقته الضيقة في الخلف، بمعنى أن بين التفشي وهي الصفة الأبرز في الشين، وبين الصفير وهي من صفات السين المشترك فيها مع غيره، هيئة نطقية في خروج الهواء مختلفة إلى حد بسيط، فالتفشي في الشين إن زاد عن حده بأن يتضيق المخرج في الأمام يحوله إلى صفير، والعكس صحيح.

ويمكن القول بعد ذلك، بأن صوت الشين متفش بإجماع، أما السين فليس كذلك ؛ لأن منطقة التضيق تكون في الأمام، أي قبيل خروج الهواء من الفم، وما يزيد التضيق أن الأسنان الأمامية تقترب من بعضها، ما يسبب انضغاطا للهواء، فيخرج وقد أحدث صفيرا مدويا بجرس صوتي مميز. أما الشين فالأمر مختلف، فمنطقة التضيق تكون في وسط الحلق، أما في مقدمة الحنك، فتكون المساحة متسعة، وما يزيد من حرية الحركة أن الأسنان الأمامية تكون مبتعدة عن بعضها إلى الحد الذي يسمح للهواء بالعبور بحرية، ولكن مع هيئة تحدث احتكاكا يسبب وشيشا تسمعه الأذن.

الصوت الثاني: صوت الراء.

من المعلوم أن الصفة الخاصة بصوت الراء، هي صفة التكرير، ولكن من العلماء من أضاف صفة التفشي له، قال سيبويه:" والراء لا تدغم في اللام، ولا في النون، لأنها مكررة، وهي تفشى إذا كان معها

غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم معها ما ليس يتفشى في الفم مثلها، ولا يكرر"[١]. ويلمح من قول سيبويه أن التفشي ليست صفة راسخة في صوت الراء، بدليل قوله: وهي " مكررة"، وقوله:" وهي تفشى إذا كان معها غيرها"، بمعنى أن الصفة الخاصة بالصوت إنما يختص بها عند نطقه مفردا، أما في حالة تجاوره مع أصوات أخرى فمن الطبيعي أن يؤثر صوت في آخر في الصفات، أي أن التكرار في الراء صفة أصيلة ثابتة، والتفشي فيه صفة عارضة طارئة، مرهونة بما يتصل به من أصوات.

مخرج الراء

قال إبراهيم أنيس:" والراء صوت مكرر؛ لأن التقاء طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا يتكرر في أثناء النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرقا لينا يسيرا مرتين أو ثلاثا لتتكون الراء العربية"[٢]. وقال السعران:" يتكون صوت الراء العربي بأن تتابع طرقات طرف اللسان على اللثة تتابعا سريعا، ومن هنا كانت تسمية هذا الصوت بالمكرر. وهذه الطرقات لا تحدثها حركة عضلية واعية من طرف اللسان، فالذي يحدث أن طرف اللسان يوضع سمحا في موضعه المناسب، ويذبذب العمود الهوائي"[٣].

---

[١] سيبويه، **الكتاب**، ٤/٤٤٨

[٢] أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ص ٥٨.

[٣] السعران، محمود، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ص١٧١

والملاحظ مما سبق أن الراء يعتمد في حدوثه على تكرار ضربات طرف اللسان على اللثة الصلبة، ضربات سريعة متتابعة، ولولا ذلك ما حصل له الجرس الصوتي، والهواء في أثناء الطرقات يخرج بشكل متقطع، فبعد كل طرقة تخرج دفقة قليلة من الهواء متسربة من بين الأسنان بعد أن تكون قد تباعدت إلى الحد الذي لا يحدث صفيرا أو وشيشا.

وإذا ما تتبعنا حركة الهواء بعد خروجه من الرئتين وتحريكه للأوتار الصوتية المعترضة لها بتضيقها المحدث للجهر، فإننا نجده يسير للأمام وقد ارتفع طرف اللسان حتى يلامس اللثة الصلبة بشكل مرن، بحيث يتصل بها اتصالات سريعة متقطعة، وبين كل اتصال يحدث اندفاع لكمية بسيطة من الهواء.

أما عن كونها متفشية، فالملاحظ أن الهواء في نطقها يتسم بما يأتي:

١- أنه لا يأخذ حريته بشكل كامل حتى يتمكن من الانتشار.

٢- أن كميته أقل من كميته عند نطق صوت الشين، وذلك متأت من كثرة الاعتراضات قبل خروجه من الفم، فأول ما يصطدم به هو الوتران الصوتيان، عندما يقتربان من بعضهما لإحداث جهر الصوت.

٣- أنه لا يجد مساحة واسعة أمامه أثناء خروجه في التجويف الفموي.

وبناء على ذلك، يمكن القول بأن السمات الأساسية للتفشي لا تنبطق على صوت الراء، أما عن قول سيبويه بأنه يتفشى إن كان مع

غيره، فليس دليلا على أنه متفش؛ لأن تلك صفة عارضة تكتسب من الأصوات المجاورة.

الصوت الثالث: صوت الثاء

وصف مكي صوت الثاء بالتفشي، قال:" وقد قيل إن في الثاء تفشيا"[١]، وهذا الوصف لم يرد عن غيره من العلماء، والمدقق في عبارته يلاحظ أن هناك من يرى بذلك، ولكنه لم يبين مصدره، ويبدو أن هذا الوصف في قوله ليس بارزا في نطق الثاء، أي أن التفشي فيه ليس مكتملا كما في صوت الشين. ويمكن التأكد من ذلك بمقارنة حركة الهواء أثناء النطق به مع حركته في صوت الشين.

مخرج الثاء:

قال السعران: " يحدث الثاء بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء؛ ويكون معظم جسم اللسان مستويا؛ يرفع الحنك اللين، فلا ينفذ الهواء عن طرق الأنف، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان"[٢].

وهذا النطق متفق عليه من العلماء، والمدقق في هيئة خروج الثاء يجد ما يأتي:

١- الثاء صوت احتكاكي، والاحتكاك بالضرورة يقتضي توفر كمية كبيرة من الهواء متدفقة من الرئتين، لكي يتم الاحتكاك المولد للجرس

[١] ابن أبي طالب، مكي، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، ص١٣٤

[٢] السعران، محمود، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي** ، ص١٧٣

الصوتي المسموع، إذ لولا الاحتكاك ما سمع الصوت. ولكن بين الاحتكاك والتفشي فرقا، فالتفشي يقتضي عدم تضيق في المخرج للحد الذي يكون فيه الاحتكاك، كما أن الهواء في التفشي يكون حرا بحركته على غير حاله عندما يكون محتكا.

٢- أن الأوتار الصوتية لا تهتز عند النطق، ما يوفر كمية كبيرة من الهواء، قوية لإحداث التفشي على عرض اللسان، ولكن الاعتراض من اللسان والأسنان يُفقد التفشي في مرحلته الأولى قدرته على الانتشار كما في الشين، أي أن الهواء بعد عبوره من بين الوترين الساكنين، يجرى مسرعا إلى الأمام متفشيا على عرض اللسان، ولكن ذلك التفشي لا يكتمل بسبب التضيق الشديد الحاصل عندما ينحصر ذلق اللسان بين الأسنان الأمامية.

وبناء على ذلك، يمكن القول بأن الثاء صوت متفش نسبيا في مرحلته الأولى، أي مرحلة ما بين عبور الهواء من الأوتار الصوتية، وقبل مواجهته للتضيق في الأمام.

الصوت الرابع: صوت الفاء

ذكر علماء التجويد أن صوت الفاء من أصوات التفشي، وقد جمعوها في كلمة " مشفر"، "قال ابن مريم الشيرازي: ومنها

حروف التفشي، وهي أربعة مجموعة في قولك: مشفر وهي حروف فيها غنة وتفشٍ وتأفف وتكرار"[١].

مخرج الفاء:

قال كمال بشر:" يتم نطق هذا الصوت بوضع أطراف الثنايا العليا على الشفة السفلى، ولكن بصورة تسمح للهواء أن ينفذ من خلالها، ومن خلال الثنايا مع عدم السماح بالمرور من الأنف، ولا تتذبذب الأوتار الصوتية خلال النطق بالفاء"[٢].

من خلال التدقيق بآلية خروج صوت الفاء، بالوصف الذي ذكره كمال بشر، وهو وصف متفق عليه عند العلماء المحدثين، نجد أن حركة الهواء_ وهو المعيار الأساس المعتمد للحكم على تفشي الصوت_ بعد خروجه من الرئتين، يجد الوترين أمامه منفرجين فلا يجد صعوبة في حرية الحركة، فيحافظ على القوة التي اكتسبها من دفق الرئتين له بعد انضغاط الحجاب الحاجز، ما يسمح له بأن يجري بقوة إلى الأمام حتى يقابل اللسان والتجويف الفموي، فيجده متسعا ما يعطيه الفرصة لينتشر ويتفشى، ولكن هذا التفشي يبقى محدودا، إذ سرعان ما تتعرقل حركته بفعل التقاء أطراف الثنايا العليا مع باطن الشفة السفلى، فينضغط بعد أن كان قد تفشى

---

[١] أبو شامة، شهاب الدين المقدسي، **إبراز المعاني من حرز الأماني**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت، ص٧٥٣

[٢] بشر، كمال، **علم الأصوات**، ص ٢٩٧

على عرض اللسان المنبسط، فيترشح خارج الفم منبعثا بقوة من بين الثنايا العليا وباطن الشفة السفلى.

معنى ذلك، أن صوت الفاء من خلال تتبع حركة الهواء، وما يجابهه من معوقات في طريق خروجه، وشكل اللسان يدل على أن صوت الفاء صوت متفش، ولكن التفشي فيه في المرحلة السابقة المكملة للجرس الصوتي، أي مرحلة الالتقاء بين الثنايا العليا وباطن الشفة.

وإذا ما عقدنا موازنة بين التفشي في صوت الشين، والتفشي في صوت الفاء، فإننا نلاحظ ما يأتي:

١- كلاهما مهموس، إذ لا يوجد اعتراض من الأوتار الصوتية، ما يعطي الهواء قدرة على التفشي.

٢- اللسان منبسط في كلا الصوتين، ما يعطي الهواء قدرة في الصول إلى جميع أجزاء اللسان بشكل مستوٍ، ولو كان اللسان غير ذلك، لكلف الهواء كمية أكبر من أجل ملء التجويفات التي يصنعها اللسان بشكله غير المنبسط، الأمر الذي يعرقل حركة الهواء ويحد من قدرته على التفشي.

٣- الهواء في الشين لا يواجه إعاقة بعد تخطيه مرحلة تفشيه على ظهر اللسان، وقبل خروجه من الفم، وكل ما يواجهه ذلك الاعتراض البسيط في مقدم الفم، ولكنه لا يؤثر في حركة الهواء، بل ينظمها ويزيد من قدرة الهواء على إحداث الجرس الصوتي المسموع. أما في الفاء،

فإن الإعاقة في مقدم الفم أكبر مما في الشين، ما يؤدي إلى توقف حركة التفشي على ظهر اللسان؛ فالتفشي يحتاج إلى حركة كي يتمكن الهواء من الانتشار. وتوقف الهواء أو بطء حركته بفعل الاعتراض الموجود في الأمام، يحد من التفشي، ويجعله أقل درجة منه في الشين. قال كمال بشر:" وقد حسب بعض القدامى صوت الفاء من أصوات التفشي، وهو رأي مقبول، حيث إن الهواء عند النطق به يشتد احتكاكه نسبيا محدثا حفيفا عريضا"[١].

الصوت الخامس: صوت الضاد:

قال سيبويه:" والمطبق أفشى في السمع"[٢]"، ووصف المبرد صوت الضاد بأنه صوت متفش، إضافة إلى صوت الشين المتفق عليه عند العلماء[٣]، وقال ابن جني:"" وأما الضّاد، فلأن فيها طولا وتفشيا، فلو أُدغمت في الطاء لذهب ما فيها من التفشي، فلم يَجُز ذلك"[٤]، وتبعهم علماء التجويد في هذا الوصف[٥].

---

[١] بشر، كمال، **علم الأصوات**، ص ٢٩٨.

[٢] سيبويه، **الكتاب**، ٤٤٨/٤

[٣] ينظر: المبرد، محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق، محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، ٢١٤/١.

[٤] ابن جني، أبو الفتح، **سر صناعة الإعراب**، ٢٣٠/١.

[٥] ينظر: ابن أبي طالب، مكي، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، ص١٣٥

ويبدو أن سيبويه قصد بكلمة " أفشى"، أي أنها أوضح سمعا من غيرها، ولكنه لا يعني أن التفشي هو الإطباق، كما قال الصايغ:" ...كما يعني بالتفشي الإطباق، حين قال والمطبق أفشى في السمع"[١]؛ لأن شكل اللسان في الصوت المطبق، لا يكون على هئيئته منبسطا في الصوت المتفشي، كما أن الهواء لا يكون حرا طليقا ينساب بسهولة، بل نجده ينضغط إلى أعلى محصورا بين اللسان وسقف الحنك الأعلى .

مخرج الضاد:

قال سيبويه:" أول حافـــَة اللسان، وما يليه من الأضراس مخرج الضّاد "[٦]، وقال ابن جنّي:"ومن أوّل حافة اللسان، وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد، إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت من الجانب الأيسر"[٧].

يبدو أن وصف ابن جني أكثر دقة من وصف سيبويه، والملاحظ أن الضاد المقصودة ليست الضاد التي ننطق بها في الحاضر، إنها ضاد من نوع خاص، تنطق بطريقة مختلفة، بحيث يتسرب الهواء من جانب الفم الأيمن، أو الأيسرأ أو من كليهما.

وفي وصف المخرج أيضا قال إبراهيم أنيس:" الضّاد صوت شديد مجهور، يتحرك معه الوتران الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا، فإذا انفصل اللسان

---

[١] الصايغ، عبد العزيز، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م، ص ١٨٠

عن أصول الثنايا سمعنا صوتا انفجاريا، هو الضّاد، كما ننطق به في مصر"[١]

والمدقق يجد أن القدماء ليس لديهم إلا نطق واحد، أما المحدثون فلديهم نطقان، وكلام إبراهيم أنيس وصف للضاد الحديثة، ومهما يكن من أمر فإن المتفق عليه أن كلا الضادين مطبق ولا خلاف في ذلك، قال مكي:" حروف الإطباق، وهي أربعة أحرف: الطاء، والظاء، والصاد، والضاد، وإنما سميت بحروف الإطباق؛ لأن طائفة من اللسان تنطبق مع الريح إلى الحنك عند النطق بهذه الحروف، وتنحصر الريح بين اللسان والحنك الأعلى"[٢].

أما عن التفشي في الضاد كما وصفوه، فإنه على هيئتين بحسب نطق الضاد، كانت حديثة أو قديمة، وفيما يأتي توضيح ذلك:

أولا : الضاد القديمة

إن الهواء في هذا الضاد يخرج من الرئتين متدفقا بشدة، حتى يقابل الوترين الصوتيين، وقد اتخذا هيئة إحداث الجهر بالصوت، ما يؤدي إلى التخفيف من قوة الدفق الهوائي، ثم ينطلق إلى الأمام، فيجد اللسان أمامه قد ارتفع إلى أعلى متخذا شكل الطبق، ما يؤدي إلى انضغاطه إلى أعلى، ثم يتابع طريقه حتى يصطدم بعائق التقاء طرف اللسان مع اللثة الصلبة، فيجد جانب

---

[١] أنيس، إبراهيم، **الأصوات اللغوية**، ص٣٧.

[٢] ابن أبي طالب، مكي، **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، ص١٢٢.

اللسان وقد انفرج قليلا، فيتسرب منه في الأخدود المحاذي للحنك الأسفل حتى يخرج من الفم، وهذه الحركة هي الاستطالة.

والمدقق يجد أن الهواء لم يأخذ حرية في الحركة منذ وصوله إلى الوترين الصوتيين، فحدوث الجهر، واتخاذ اللسان شكل الطبق، والانغلاق في المقدمة، وتوجيه اللسان للهواء ليتسرب من جانب الفم، وحتى مرحلة خروج الهواء مستطيلا من جانب الفم، كلها أمور تحد من حرية الهواء في الحركة؛ لأن الاستطالة تعنى:" امتداد الهواء، وخروجه من أحد جانبي الفم، أو من كليهما، على ما رُوي عن السّابقين، فيكون الضّاد ذا صفة جانبية كاللام"[١].

وخروج الهواء من غير موضعه يقتضي بالضرورة وجود محرك له كي ينحرف عن الاتجاه الذي كان من المفترض أن يسير فيه، وهو أمر يحد من التفشي؛ لأنه يسلب الهواء حرية الحركة، كما أن اللسان لا يكن منبسطا كما في السين، بل يتخذ شكل آخر لا يسمح للهواء بالانسياب والانتشار، ولكن جريان الهواء دون انحباسه في منطقة محددة من التجويف الفموي، يعطي الصوت سمة التفشي ولكنه تفش محدود، ليس كما في الشين.

---

[١] بشر، كمال، **علم الأصوات**، ص٢٦٦.

ثانيا: الضاد الحديثة:

قال بسام بركة:" شكل اللسان لدى النطق بهما (الضّاد والطاء) يكون غير شكله لدى النطق بالتاء والدال. إذ إن مؤخر اللسان يرتفع لدى النطق بهما نحو أقصى الحنك، ويتأخر قليلا نحو الجدار الخلفي للحلق"[١]

يظهر لنا من وصف العلماء المحدثين لنطق الضّاد الحديثة، أن ذلك يتم بانطباق حافتي اللسان على الأضراس متخذا شكلا مقعرا يشبه الطبق، وهو مكان ضيق لا اتساع فيه ولا منفذ منه إلى الأضراس كما في الضّاد القديمة، فالإطباق: " أن يتّخذ اللسان عند النطق بالصوت شكلا مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى، ويرجع للوراء قليلا"[٢].

والمدقق في هذا الوصف، يجد بأن الهواء بعد اندفاعه من الرئتين، فإنه يصل إلى الأوتار الصوتية التي تكون قد اتخذت وضعية الإجهار، فتخفف من حدته في الجريان، ومن ثم ينضغط إلى سقف الحنك الأعلى فينحصر، حتى إذا ما انفرج اللسان عن الأضراس الجانبية حصل الانفجار، أي أن الضاد الحديثة صوت شديد، وبين الشدة والتفشي اختلافا كبيرا، فالشدة في الصوت تمنع حدوث التفشي، لأنها

---

[١] بركة، بسام، **علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية**، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ط، د.ت، ص١١٥.

[٢] الصايغ، عبد العزيز، **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، ص١٣٢.

تمنع الهواء من الحركة، فهي تحصره وتحبسه من أجل إتمام عملية الانفجار الذي يشكل الجرس الصوتي.

وبعد ذلك يمكن القول بأن في الضاد القديمة متفشية، بسبب استطالة الهواء على جانبي الفم، ولكنه تفش أقل درجة وقوة من تفشي الشين، أما الضاد الحديثة فلا يمكن أن تكون متفشية، لأنها شديدة، فيها حبس وانفجار، والصوت المتفشي لا يكون كذلك.

الخاتمة:

تناول البحث صفة التفشي بالدرس والتحليل في ستة أصوات، من خلال استعراض أقوال العلماء، للوصول إلى السمات الدقيقة التي تميز الصوت المتفشي عن غيره، والتعرف على حركة الهواء أثناء حدوث التفشي، وبعد البحث والتحليل أمكن الوصول إلى النتائج الآتية:

١- الصوت المتفشي يكون مهموسا، واللسان منبسطا حتى ينتشر الهواء عليه بانسياب، ولا يواجه الهواء اعتراضا يحد من حركته بشكل كبير.

٢- التفشي نوعان: تفشٍ أصيل متمثل في صوت الشين، وتفش عارض كما في صوت الراء.

٣- الأصوات المتفشية، هي: الشين، تليها الضاد القديمة، فالفاء، فالثاء، أما الأصوات غير المتفشية، فهي: الراء، والضاد الحديثة.

المصادر والمراجع:

١. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت.

٢. بشر، كمال، علم الأصوات، دارغريب، القاهرة، د.ط، د.ت.

٣. ابن جني، أبو الفتح، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م

٤. بركة، بسام، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ط، د.ت.

٥. السعران، محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضةالعربية، بيروت، د.ط، د.ت.

٦. سيبويه، أبو بشر، عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، د.ت.

٧. أبوشامة، شهاب الدين المقدسي، إبراز المعاني من حرز الأماني، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ط، د.ت.

٨. الصالح، صبحي إبراهيم، دراسات في فقه اللغة، دارالعلم للملايين، ط١، ١٩٦٠م.

٩. الصايغ، عبدالعزيز، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دارالفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧م.

١٠. ابن أبي طالب، مكي، الرعاية لتجويد القراءة وتحفيظ التلاوة، تحقيق، أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان، ط٣، ١٩٩٦م.

١١. المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق، محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت.

١٢. مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، القاهرة، د.ط، د.ت.

١٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دارصادر، بيروت، ط١، د.ت.